جوهرة الصيّاد



حكايات من الماضي



دار النفائس



حكايات النفائس للأطفال

جوهرة الصيّاد

باشراف
عَدَدٍ مِنَ الاخصائيين

زكريّا كايا

دار النفائس
ص ب ٦٣٤٧
بيروت

الطبعة الأولى : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م
الطبعة الثالثة : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

كانَتْ قَرْيَةُ « وَاس » تَقعُ على شاطِىء نهرٍ كبيرٍ ، قُربَ غابةٍ كَثيفَةٍ ضخمةِ الأَشجارِ . وكانت تتألفُ من مجموعةٍ من الأَكواخِ الخشبيةِ ، يسكُنُها صَيَّادونَ يَعيشُونَ من صَيدِ الأَسماكِ . وهم سُعداءُ في حياتِهم ، رغْمَ الفَقرِ والصُعوباتِ التي كانوا يُقاسُونَها .

اعتَادَ الصيَّادونَ التجمُّعَ حَولَ نارٍ كبيرةٍ ، يُشعلونَها في ساحةِ القَريةِ مساءَ كُلِّ يومِ خميسٍ ، فيُغنُّونَ ويرقصونَ حتى ساعةٍ متأخرةٍ من اللّيلِ . وفي نِهايةِ الاحتِفالِ يُعلِن كبيرُ الصيادينَ اسمَ الرجلِ الذي اصطادَ أكبرَ سمكةٍ خلالَ الأُسبوعِ ، ويمنحُه جائزةً ماليةً وإجازةَ أُسبوعٍ يَقضيها الرجلُ كما يَشاءُ .

وكانَ بين الصيادينَ أَخوانِ ، اسمُ كبيرِهما « ثرثارٌ » واسم الأَصغرِ « سيّارٌ » . أَما ثرثارٌ فقد كانَ شاباً خاملاً كسلانَ ، يلفِّقُ الأَكاذيبَ ، ويُوْقعُ الفِتنةَ بينَ الصيادين ، ولا يتورعُ عن إيقاعِ الأَذى بأَيِّ إنسان . بينما كانَ سيارٌ نبيلاً شهماً ، يحبُّ عملَه ، ويحسنُ لكلِ محتاجٍ .

وكلما خرج الأَخوانِ للصيدِ معاً ، كانَ ثرثارٌ يُلقي شِباكَه في أَقربِ مكانٍ من شطِّ النهرِ ، ثم يستلقي في



ظلِّ شجرةٍ ، وينامُ حتى مَغْربِ الشمسِ ، فيهبُّ إلى النهرِ ، ويجرُّ شباكَه ، فيأْخذُ بعضَ السمكِ العالقِ فيها ، ويتركُ الباقيَ حتى يُخفِّفَ حِملَهُ وهو في طريقِ العودةِ إلى قريتهِ الصغيرةِ .

أَما سيّارٌ فقد كانَ يُفتِّشُ عن أَفضلِ الأَماكنِ التي يُحتملُ وجودُ الأَسماكِ فيها مهما بَعُدَت عن شاطىء النهرِ . لا يبالي بالتعبِ ، وكلُّ همِّه أَن يصطادَ السمكةَ الكبرى .

وفي ذاتِ يومٍ خرج الأَخوانِ إلى الصيدِ معاً ، وقد عزمَ سَيارٌ على أَن لا يعودَ إلى القريةِ إلا وقد اصطادَ أَكبرَ سمكةٍ في النهر ، فركِبَ زورَقهُ وابتعدَ كثيراً عن القريةِ في النهرِ . بينما رفضَ ثرثارٌ أَن يرافِقهُ ، فبقيَ كعادَتهِ في مكانٍ قريبٍ من القريةِ ، وأَلقى شباكَه في النهرِ ونامَ تحتَ شجرةٍ كبيرةٍ .

مضى النهارُ ، وغابتِ الشمسُ ، وعادَ الصيادونَ إلى القريةِ ، ولم يستَطع سيارٌ اصطيادَ سمكةٍ كبيرةٍ . فعزمَ على قضاءِ الليلِ في النهرِ يُلقي شباكَه في الماءِ طَوالَ الليل ، حتى يفوزَ بما يُريدُ . وكانَ كلما سحبَ شباكَه ووجَدها



مليئةً بالأَسماكِ الصغيرةِ ، أَفرغَها في النهرِ ثانيةً ، وأَلقاهَا من جديدٍ في الماءِ .

تَعِبَ سيارٌ من كثرةِ ما سحبَ شباكَه وأَلقاهَا ، وغلبَ عليهِ النُعاسُ ، فسقَطَ في أَرضِ الزورقِ ، وغرقَ في نومٍ عميقٍ . وعندما استيقظَ شدَّ شباكَه فوجدَها ثقيلةً بشكلٍ غيرِ عاديّ . فجرَّها بكلِ قوتهِ إلى داخلِ الزورق ، فإذا فيها سمكةٌ كبيرةٌ عجيبةُ الشكلِ ، لها عينانِ من الياقوتِ الأَحمرِ ، وزعانفُ من الذهبِ الخالصِ ، وجِلدٌ مرصوفٌ بالأَحجارِ الكريمةِ .

فجذَّفَ سيارٌ بزورقهِ ، ومضى مسرعاً نحوَ شاطىء النهرِ ، ولما فتح الشبكةَ وهمَّ بحملِ السمكةِ العجيبةِ ، سمعها تقولُ له بصوت هادىء حزينٍ ، وكأَنها فتاةٌ في العشرين من العمر :

ـ أَيها الصيادُ الطيّبُ القلبِ ، ما مرادُك من حملي إلى اليابسةِ والتسببِ في موتي؟ إذا كنتَ بحاجةٍ إلى المالِ ، فأَنا أَعِدُك بأَن أَجعلك من الأَغنياءِ . أَما إذا كان ذلكَ إرضاءً لغرورِكَ فإنَّك سوفَ تندمُ على قتلي طولَ حياتِك . لأَنَّك إذا



تركْتَني أَعودُ إلى أَهلي ، فإني سأُعطيكَ جوهرةً ثمينةً مع مَطلَعِ هلالِ كلِ شهرٍ .

دُهشَ سيارٌ لما سمِعَ السمكةَ تتكلمُ ، وانعقدَ لسانهُ عن الجوابِ . لكنه بعدَ ترددٍ قليلٍ حملَ السمكةَ وألقاهَا في النهرِ . وعندما همَّ بالعودةِ وقعَ نَظَرُهُ على جوهرةٍ مُلْقاةٍ على أَرضِ زورقهِ ، فتناوَلها فرحاً ، ووضَعَها في جيبهِ ، وعادَ مسرعاً إلى قريتهِ .

كانَ حفلُ الصيادينَ عامراً ، وضجيجُهم يملأُ أَجواءَ الغابةِ بالصخَب عندما بلغَ سيارٌ ساحةَ القريةِ ، فجلَس في مكانٍ بعيدٍ عن النارِ المشتعلةِ .

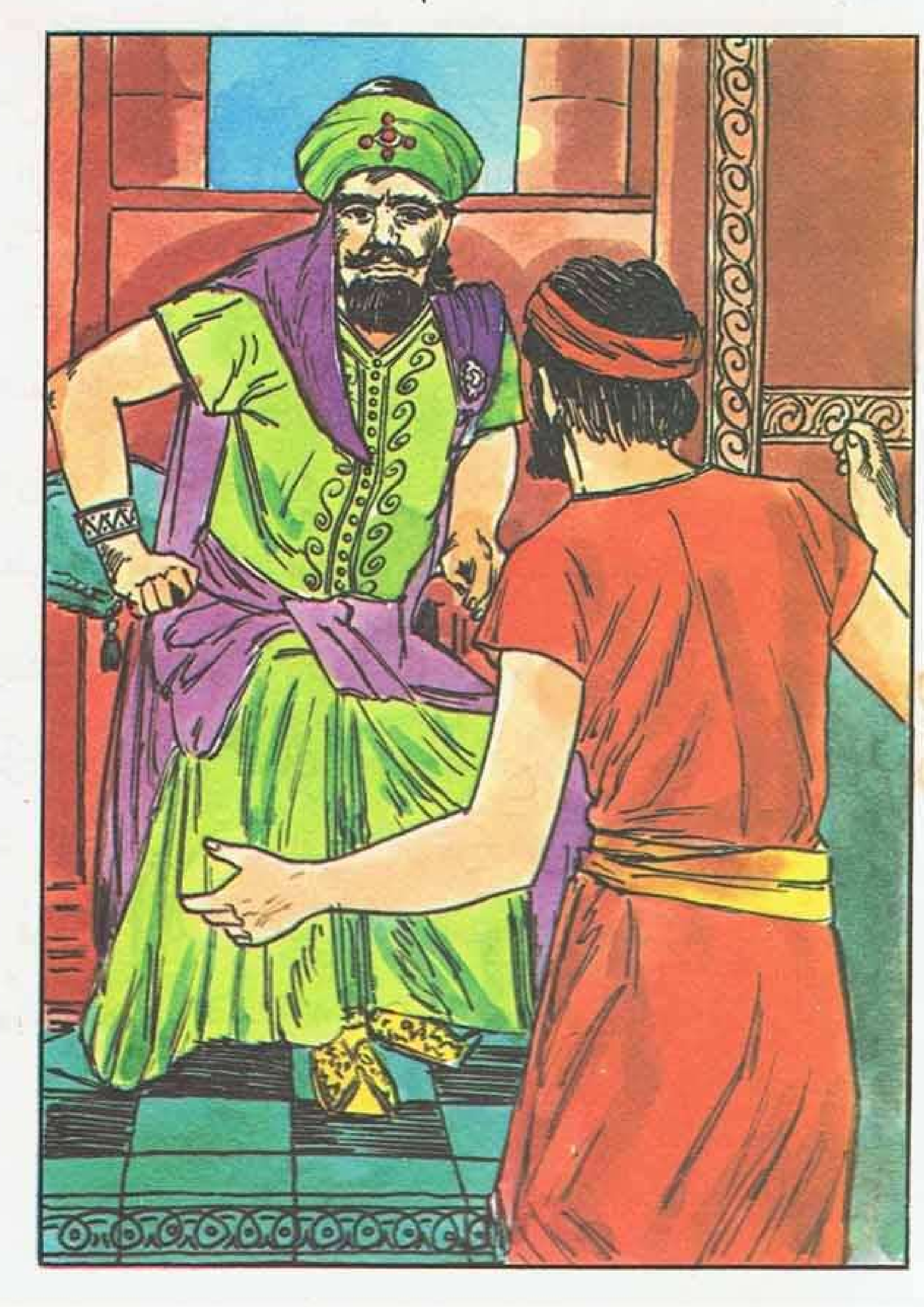
فذهبَ إليهِ معظمُ الصيادين وتحلقوا حولَه يناشدونَه الاشتراكَ معهم في غنائِهم ورقصِهم . لكنه بقيَ جالساً من شدةِ التعبِ وقد بدَت عليهِ علائمُ الشرود .

فاستغلَّ ثرثارٌ الموقفَ وأَخذَ يسخَرُ من أَخيه ، ويهزأُ به أَمامَ الصيادينَ ، ومن كثرةِ محاولاتهِ اصطيادَ أَكبرِ سمكةٍ في النهر .

لكنّ سياراً بقيَ هادئاً ، ولم يكترِثْ لاستفزازاتِ أَخيه .

بينَما تمادَى الأَخُ الشَقيُّ في سخريتهِ وأَخذَ يشربُ الخمرَ ، والخمرُ يَذهبُ بالعقلِ . وعندما لعبت الخمرةُ برأْسِه أَخذَ يدورُ حولَ أَخيه ، ويوجه إليه كلاماً بذيئاً . وفجأَةً وقف وصاحَ بصوتٍ عالٍ :

ـ أَيها القومُ انظروا ، إن صدرَ سيارٍ يبعثُ نوراً وهّاجاً .



فنظرَ الجميعُ إلى صدرِ سيارٍ ، فرأَوا نورَ الجوهرةِ يَشُعُّ من صدرهِ ، وكانَ قد أَخفى الجوهرةَ حتى لا يراها الصيادونَ . لكنهُ بعدَما شاهدوها أُحرِجَ

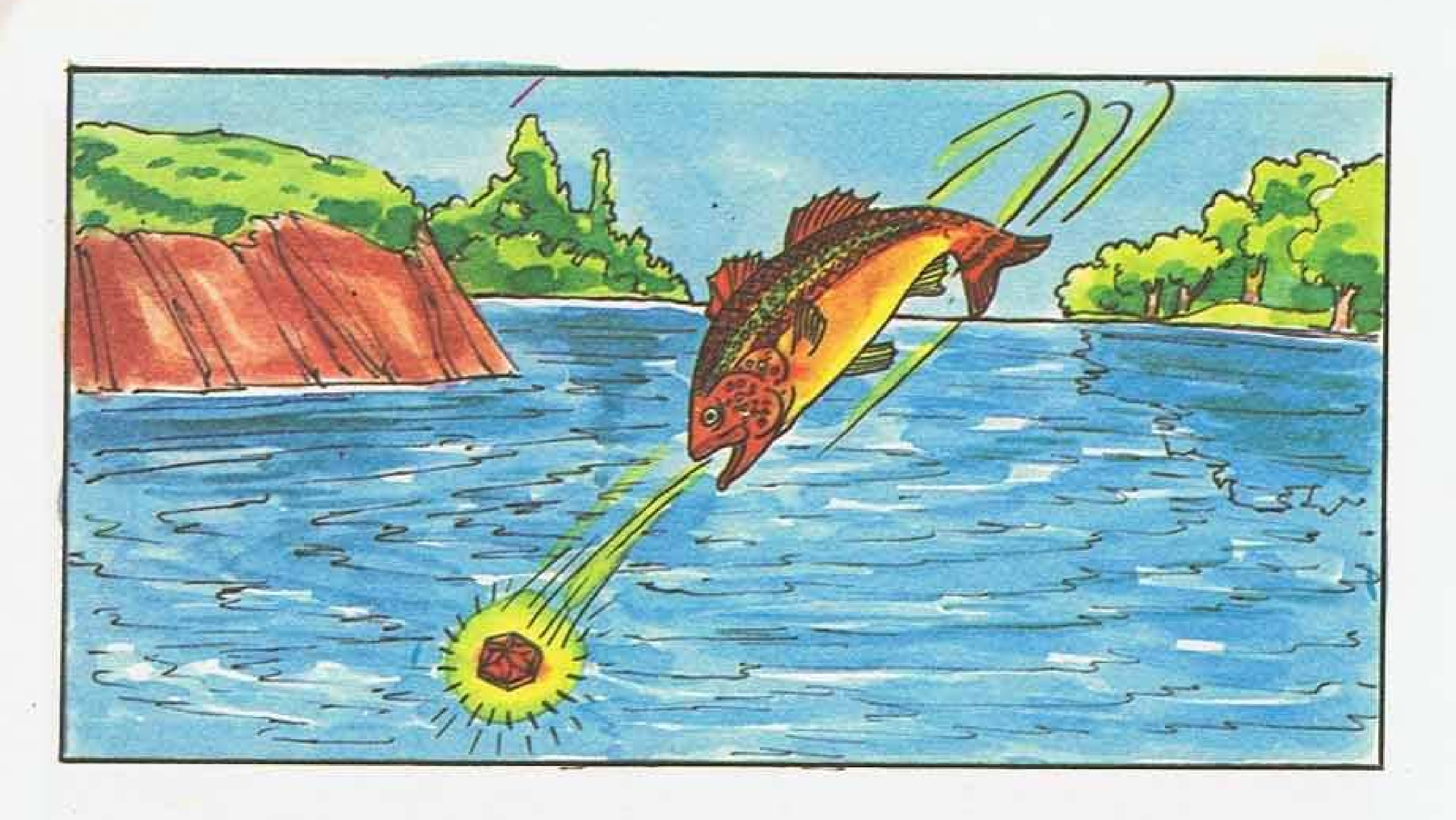
فأَطلعهم عليها ، وكتمَ سِرَّ السمكةِ العجيبة .

وعندما صحا ثرثارٌ من سُكرِه ، لعبَ في رأسِهِ الحَسد والغَيرةُ من أَخيه ، ورأى في الجوهرةِ موضوعاً يمكنُ استغلالُهُ للإِيقاعِ بسيارٍ والنَيْلِ منه .

فانسلَّ من القريةِ دونَ أَن يراهُ أَحدٌ ، وذهبَ إلى وزيرِ الوالي ، وطلبَ من الحرّاسِ مقابلةَ الوزيرِ لأَمرٍ مُهمٍّ جداً . ولما أَبلغَ الحراسُ الوزيرَ طلبَ ثرثارٍ ، سَمَحَ له بالدخولِ عليه .

وقف ثرثارٌ بينَ يدي الوزيرِ بأَدبٍ بالغٍ ، وأَظهرَ تقديرَه له وحرصَه على مصلحةِ الدولة ، وأَخبره بصوتٍ منخفضٍ أَن أَخاهُ حصلَ على جوهرةٍ نادرةٍ لا تُقدَّرُ بثمن ، وهو فقيرٌ لا يستطيعُ شراءَ خاتَم . فإِما أَن يكونَ قد سرقَها ، أَو يكونَ في الأَمرِ سرٌ يهمُّ الدولةَ معرفتُه .

ركبَ الوزيرُ حصانَه في الحالِ ، وتوجه مع عددٍ من الجنودِ إلى قريةِ الصيادين ، فأَلقى القبضَ على سيَّارٍ ، وصادَر منهُ الجوهرةَ ، وأَمرَ بوضعِه في السجنِ للتحقيقِ معَه ، ومعرفةِ سرِّ الجوهرةِ الثمينة .



وفي اليومِ التالي فكَّرَ الوزيرُ بدافعٍ من جَشعِهِ بالأمرِ ، فحدَّثَ نفسَه قائلاً :

ـ ماذا يَفيدُني سَجنُ الشابِ وتعذيبُه ؟ بَينما إذا أطلقتُهُ فقد يستطيعُ الحصولَ على جوهرةٍ أُخرى ، فأَكونُ له بالمرصادِ ، وأُصادِرُها منه .

فقرر إطلاقَ سراحِهِ ، ونادى ثرثاراً وأَعطاهُ بعضَ الدنانيرِ جزاءَ وشايتهِ بأَخيهِ ، وطلبَ مراقبتَه مراقبةً جيدةً للحصولِ على سرِّ الجوهرة .

مضت أَربعةُ أَسابيعَ ، وثرثارٌ يراقبُ أَخاهُ بكثيرٍ من الحذر والدهاءِ ، حتى إذا كانَ أَولُ الشهرِ وجدهُ يحملُ

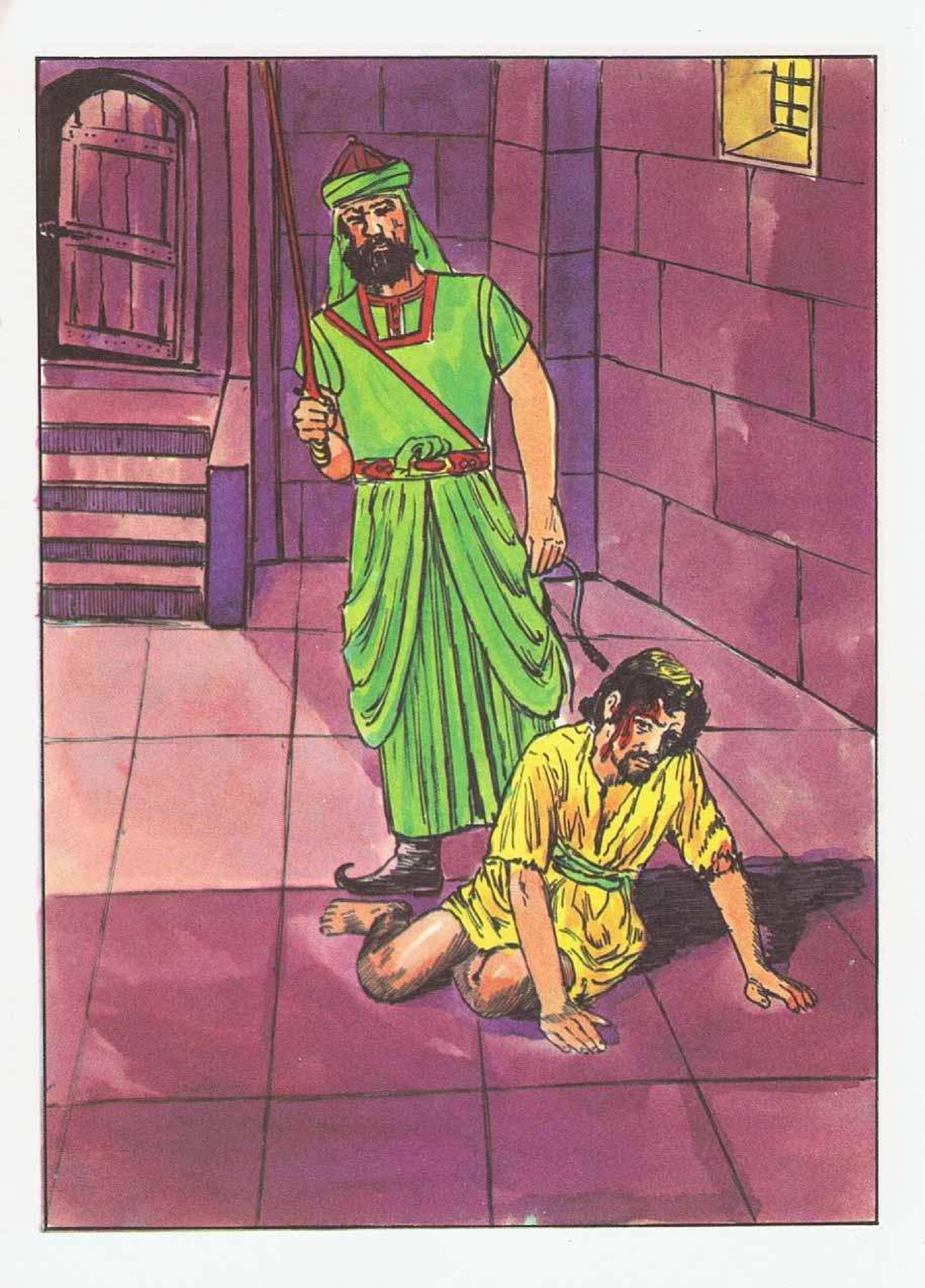
شِباكَه إلى زورقِهِ ويدفعُه إلى النهرِ ويمضي مسرعاً . فلحقَ به وأخذَ يراقبُه من بعيدٍ حتى لا ينتبهَ إليه .

وصلَ سيارٌ إلى مكانِ السمكةِ العجيبةِ ، فأوقفَ زورَقه وراحَ ينتظرُ ظُهورَها. وما ان ظهرَ الهلالُ على وجهِ الماءِ حتى قفزت السمكةُ من الماءِ، و ألقتْ في زورقِ سيّارٍ جوهرةً كالجوهرةِ السابقةِ ، وغابت ثانيةً في مياهِ النهرِ .

عادَ سيارٌ إلى القريةِ وهو لا يدري أنَّ أخاهُ الشرير تلصَّص عليهِ ، وعرفَ سرَّ السمكةِ العجيبةِ ، وأنهُ في طريقهِ إلى الوزيرِ لإعلامِه بالأمر .

ولم يكد سيارٌ يَبلغُ كوخَه حتى أدركه الوزيرُ وجنودُه ، ومرّةً أُخرى انتزعَ الوزيرُ منَ الصيادِ المسكينِ جوهرتَه الثمينة . وأمر بضربهِ أمامَ الصيادينَ حتى يخافوا فلا يتدخلوا في الأمر .

قدّر سيارٌ الأمرَ فحزنَ حزناً شديداً ، وخافَ على السمكةِ من الوزيرِ ، فقررَ أن يذهبَ إليها ويطلبَ منها أن تكفَّ عن إعطائِه الجواهرَ، وتبتعدَ عنِ المكانِ حتى لا يصلَ إليها الوزيرُ .



وعندما حانَ مطلعُ الشهرِ ، ركبَ زورقَه بكثيرٍ من الحذرِ ، ووقفَ في وسطِ النهرِ ينتظرُ السمكةَ العجيبةَ ، وعندما ظهرتْ وهمَّت بإلقاءِ الجوهرةِ ، صاحَ بها بأعلى صوتِه قائلاً :

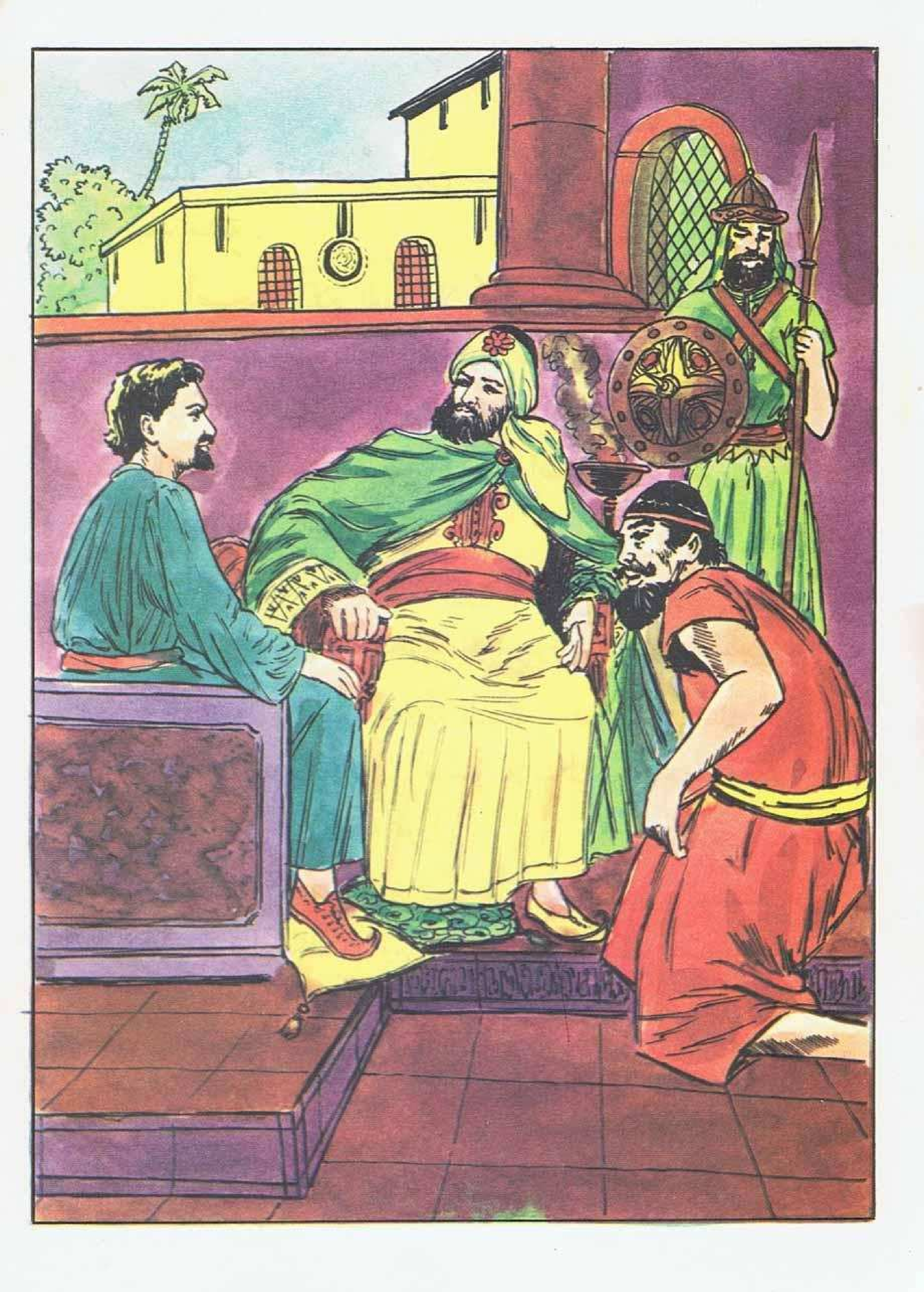
ـ أيتُها السمكةُ الطيبةُ ، كُفِّي عن إعطائي الجواهِرَ ، أتوسلُ إليكِ أن تبتعدي عن هذا المكانِ حفاظاً على سلامتِك .

ولما سألَتْهُ السمكةُ عما جرى ، قصَّ عليها حكايتَه مع الوزيرِ ، فقالت له :

ـ لا تخفْ ، هذهِ المرَّة سأُعطيكَ جوهرةً زرقاءَ مسمومةً ، تصيبُ من يَلمسُها بمرضٍ جلدي شديدِ الآلامِ ، لا دواءَ له غيرَ البُندقةِ التي سأُلقي بها إليك أيضاً ، فتدبرْ أمرَ أعدائِك بما يَستحقون. قالت هذا ، وألقتْ بجوهرةٍ زرقاءَ وبندقةٍ ، ثم غابت في مياهِ النهر .

ومرَّةً أُخرى عادَ سيارٌ فوجدَ الوزيرَ بانتظارِه مع جنودِه ، فسلبه الجوهرةَ ، وأمرَ بضربِه كالمرةِ السابقة .

عندما لمستْ يَدُ الوزيرِ الجَوهرةَ الزرقاءَ ، أخذَ مفعولُ السُّمِ يجري في جَسدِه. ولم يكَدْ يبلغُ قصرَه ، حتى كان



جسدُه كلُّه قد احمرَّ وتورّمَ ، وأخذَ الأَلمُ يشتدُّ ساعةً بعد ساعةٍ .

أَصبحت آلامُ الوزيرِ لا تُحتمل ، وعَجزَ طبيبهُ عن مداواتِه ، فحضرَ الملكُ ليعودَ وزيرَه ، ويقفَ على أَخبارِه . فوجَدهُ على تلكَ الحالِ من المرضِ الشديدِ الذي لا يطاقُ . ولما سأَلهُ عن سببِ مرضهِ المفاجىء اضطُر الوزيرُ أَن يرويَ للملكِ قِصتَه كاملةً .

أَمر الملكُ بإِحضارِ الأَخوين ، وسمعَ من سيَّارٍ قصتَه العجيبةَ ، فأَمرَ بإِعادةِ الجواهرِ إِليه وبوضعِ ثرثارٍ في السجنِ.

وغلبت على سيَّارٍ أَخلاقُه النبيلةُ ، فطلبَ من الملكِ أَن يسمحَ له بمداواةِ الوزيرِ فسمحَ له بذلك . وبعدما أَطعَمه البُندقةَ شُفيَ من مرضه فوراً .

أُعجبَ الملكُ بأَخلاقِ سيَّارٍ فأَمرَ بخلعِ وزيرِه الجَشِعِ وعيَّن سياراً مكانَه . ومن ذلك الحين أَصبَح سيّارٌ وزيرَ الملكِ في تلكَ المنطقةِ ، واحتفَلَ بتعيينهِ جميعُ الصيادين .



حكايات النفائس للأطفال

حكايات من الماضي { المجموعة الأولى

طبع في دار النفائس ص.ب ٦٣٤٧ـ١١ هاتف ٨١٠١٩٤ـ بيروت